من 'قطاع الطرق'، و'مجرمين' من المتبطلين والطائشين الموجودين في كل قرية، وأيضاً من العاطلين عن العمل، الذين فقدوا مصادر رزقهم بسبب الاضراب والشلل العام الذي أصاب الحياة الاقتصادية العربية» (ص ٢٩).

وأشارت الرواية الى «بروز ظاهرة الارهاب الداخلي، الفلسطيني ـ الفلسطيني»، وتوجيهه ضد الاثرياء، بهدف «حملهم على دفع مبالغ للثوار». وفي الجانب العربي، تعرّضت الرواية الاسرائيلية الى نشاطات فوزي القاوقجي في فلسطين، بدءاً من ٢٨ آب (اغسطس) ١٩٣٦، ومقاومة بريطانيا لنشاطاته المنظمة، ونجاحها في دفعه الى الخروج من فلسطين.

دور الهاغاناه، سنة ١٩٣٦

اذا كانت السمة العامة لبدايات الاحداث، سنة ١٩٣٦ ـ حسب الرواية الاسرائيلية ـ «هجومية بالنسبة الى العرب»، فقد «كانت دفاعية بالنسبة الى الجانب الصهيوني»؛ اذ «لم تكن منظمة الهاغاناه، في الأيام الاولى للهجمات العربية، مستعدة لمواجهة تطورات كهذه. وأصبح هناك ضرورة لاتباع أساليب عمل جديدة، ولأطر جديدة، ولخطط أكثر شمولاً. وفي هذه المرة، أكثر من أي وقت مضى، كان في الامكان ان تقرر أعمال الهاغاناه مصير البيشوف السياسي» (ص ٤١). ولجأت الهاغاناه الى سياسة اعادة ترتيب قواعدها في المدن، «منتهجة، في ذلك، سياسة ضبط النفس». وتعرّض الكتاب الى مشاغبات المنظمة ـ ب (المنشقين) في تشويش نظام الدفاع عن المدن، ولجوئهم الى سياسة ردّ الفعل (ص ٤٧). فخلال السنوات السبع، ١٩٢٩ ـ ١٩٣٦، «اتسعت صفوف المنظمة، وتراكمت الاسلحة لديها، وأنشئت في المدن أطر دفاع عادية، تستطيع، خلال فترة وجيزة جداً، اقامة سلسلة مواقع دفاعية قوية حول المناطق اليهودية في كل مدينة. وفي القرى، كانت حماية الممتلكات والارواح ملقاة على عاتق الحراس الدائمين، وعلى حرس مدني ضعيف» (ص ٥٥). وبرز، خلال الفترة الاولى، مدى مساعدة الشرطة البريطانية للمستعمرات اليهودية، خاصة النائية منها. وفي هذا السياق، ثبّتت الرواية الاسرائيلية انه «سيكون من نكران الجميل عدم التنويه بالدور المهم الذي قامت به الشرطة البريطانية في الدفاع عن المستعمرات اليهودية أيام الارتباك، تلك» (ص ٦٠). وأوردت الرواية الربط ما بين الهجمات العربية وتطوّر وسائل الدفاع اليهودي. فقد أدّت تلك «الهجمات الى حثّ المستعمرات على تعزيز تحصيناتها، واقامة سياجات عسكرية، ووضع أنوار كاشفة، والحصول على أسلحة مرخّصة، وغير مرخّصة، وتعزيز الحراسة» (ص ٩٤).

وبدأت منظمة الهاغاناه في تكييف أوضاعها، كافة، بخطى بطيئة، لتتناسب والاوضاع المتغيّرة، والمشكلات المستجدة، التي وجدت نفسها في مواجهتها، و«لم يحدث التغيير بصورة انقلابية، بل تطوّر بصورة موجّهة؛ ولم تكن سرعة التطوّر واحدة في انحاء البلد كافة». وخلال فترة وجيزة، خرجت الهاغاناه «الى ما وراء السياج»، لتنتقل من تاكتيك الدفاع الى تاكتيك الدفاع والهجوم، في آن. وكانت القوى الجوّالة أولى تلك القوى، وأبرزها، في مجال الدفاع عن المستعمرات. وتعرّض الكتاب الى مدى استفادة الهاغاناه من حالات الهدنة، خاصة هدنة ما بعد ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٦.

ترافق النشاط السياسي الصهيوني مع نمو النشاطات العسكرية، وقام، في أساسه، على تعزيز التنسيق والتعاون مع سلطات الانتداب. ومنذ بداية الاحداث، كان «افتتاح ميناء تل ـ أبيب مظاهرة سياسية بالغة الاهمية» (ص ٨٢). الاّ ان ذلك لم يمنع من نمو شكاوى الحركة الصهيونية من جهاز الموظفين البريطاني، خاصة من تنسيق هذا الجهاز مع اللجنة العربية العليا (ص ٩٤). ومن هنا، وجدت الحركة الصهيونية في وقف الاضراب «انقاذاً للجنة العربية العليا»؛ كما وانها وجدت في تقرير اللجنة الملكية، سنة ١٩٣٧، «شيئاً من التفريط بجزء من الوطن اليهودي» (ص ١٠٧).

ومن الجدير ذكره، في سياق الاحداث الاولى، سنة ١٩٣٦، التنظيم الذي شهدته الحركة الصهيونية في ما يتعلق بالتوحيد الداخلي. فغداة الاضطرابات عاد ابراهام تهومي وزملاؤه الى صفوف الهاغاناه. الاّ ان عملية التوحيد لم تكن كاملة. فقد كان زئيف جابوتينسكي والتصحيحيون معنيّين باستمرار الانشقاق؛ الاّ ان